بحادثة ما ، حادثة أليمة مفزعة ، يحملها دائما معه ، وتؤرقه باستمرار . الاحداث جميعها تتداعى في صورة كابوس ثقيل لذكريات من الماضي حيث تتقاطع وتتوازى وتغير اتجاهها باستمرار ، دون ترابط او منطق وحيث يفقد الزمن نفسه ويختلط الماضي بالحاضر والحقيقة بالحلم .

وفي عرضه لهذه الاحداث ، يقوم هيلدسهايمر بعملية توليف لجزئيات الواقع المتناقضة بعد ان يضخمها بشكل كاريكاتيري مرح حتى يزيد من احساسنا بها ويعمق رؤيتنا وتفهمنا لها . ويبدي المؤلف من خلال هذا التوليف وجهة نظره في العالم والاشياء .

فهو يرى ان العالم قد فقد براءته ، والبشاعة تنضح من كل شيء حتى الصبية الصغار ! حتى القمر يشع لا طعم له !! « كتلة من الجبن القديم الذي لا طعم له ! » . لقد فقدت الطبيعة عذريتها ، فقدت جمالها وسحرها القديمين ، وأصبحت شيئا جامدا لا انسانيا. لم تعد الوسادة الطرية التي كان يحن اليها الفرد ليغفو بعد أرقه المستمر مع العالم الخارجي .

وتختلط هذه البشاعة بالعنف والقسوة متمثلة بشكل واضح في تجربة الحرب المريرة التي عاشها الكاتب حيث تمتزج صرخات البشاعة الهستيرية بالدم الساخن والموت . الشيء الذي أفقد هيلدسهايمر ثقته وايمانه بالحياة والعالم والانسان ، وبامكانية استرجاع براءة العالم المفقودة ـ وجعله يرى ان المحاولات التي يبذلها العلم فاشلة غير مجدية ، بل ان العلم والآلة بمنطقهما الرياضي ، حددا حياة الانسان بأشكال ومفاهيم ثابتة وأنماط جاهزة ، هذه الاشكال التي يعتبر اي خروج عليها ، خروجا على المنطق بل وعن الوجود نفسه ، ولغزا غير قابل للتفسير .

كذلك فان ازمة الفرد ـ المتضخمة في اوروبا المعاصرة ـ تكون حطا فكريا هاما عند هيلدسهايمر ـ تلك الازمة التي يعاني فيها الانسان وحدته وتغربه وانفصاله عن العالم ، الذي لم يعد يقدم اية امكانية جديدة للاتصال . « فالاتصال دائما خاطيء ، دائما ، دائما » . واذا حدث أي اتصال ـ ولو عن طريق الصدفة ـ فانما ليملي على الفرد أشياء جاهزة وقيما ثابتة ، يرغمه على نشرها في النهاية .. يحملها دون ان يدري ما هي ؟ ودون أن يدري لماذا ؟ فهو يقوم ـ فقط ـ بدور الوسيط الذي لا يعرف ماذا ينقل ! هذه الازمة التي تجعل الاوروبي المعاصر يجتر ذكريات القرون الماضية بحنين وشوق بالغين ، حيث كان في امكان الفرد ممارسة حريته لاقصى الحدود ، وحيث كان يعتقد الانسان انه يسيطر سيطرة كاملة على العالم وعلى الطبيعة .

حتى اللغة ـ التي تكون الشكل الظاهري للاتصال ـ أصبحت لغة غريبة عقيمة ـ « لا يتكلمها سوى السحالي » ، فقد فشلت اللغة في القيام بدورها الاجتماعي وأصبح الانسان وحيدا ، خاويا ـ « لا يملك حتى خطيئة حقيقية واحدة !! » لقد استحال العالم الخارجي الى لص يسلب الفرد أمنه وهدوءه حتى في حالات عزلته وتغربه ، لص يسلب الانسان انسانيته ويملي عليه أشياء غبية جاهزة يحملها كل منا ويمشي ، متحولا الى ترس في آلة العالم الضخمة المفزعة .

ولكن ، رغم جو العبث واللاجدوى اللذين يغلفان المسرحية ـ التي سماها هيلدسهايمر « مسرحية اعترافات » ـ فان أغلب تفاصيلها الواقعية تحتوي على نقد عميق واع لواقع الانسان ، وتفضح علاقاته بالسلطة والكنيسة وبكل الاطر التي تحد من حرية انطلاقه ـ دون محاولة تقديم خلاص لاهوتي أو حل جاهز محدد .

فهي توضح ـ كمسرحياته السابقة ـ مدى احساس الشاعر العميق بمأساة الانسان في القرن العشرين ورغبته الملحة في تغيير الحاضر ، الذي يؤرقه لدرجة كبيرة وعدم فقدانه الامل كلية فيمستقبل اكثر استقرارا للانسان ، حيث يقول : « من الذي يستطيع النوم اذا ما قرأ عن المانيا ؟ » .

القاهرة — يسرى خميس

المرسى

(الى حسب الشيخ جعفر)

من غير ما دمع تودعنا ، وليس سوى تحيَّه
تُلقي بها ثلجية ـ من غير دمع او وداع
محرورة خفقاته . . . ـ من أين تفلت من ضياع ؟
أو ما علمت بأنك المصلوب للبلد القصيَّه !
ماذا تؤمل يا غريب ، ومرفأ الاحباب غاب
للقاع ، ريح الملح ألقته لبحر لا قرار
أين الشموس تضمنا في قلبك المهجور ؟ (أين
مني ، شميم النعنع البري ، أين القمح ، أين)
. . . .
ضاعت ، وضيَّع شاطيء الاعشاب ، غضبة موجتين .
. . . .
الريح تعول في الحدائق والخرائب . والكلاب
تعوي ، وليس سوى العواء ، وأنت تحلم في النهار
الموج يهدم ما بنيت على الشواطيء . والرياح
تسفي (كما تسفي الرماد) حطام صارية السفين ،
ترميه للزبد المحشرج . . . أو تذريه هباء
(آه ، سفينتك المرنَّحة الخطى ، باتت هباء
في الرمل ، او في البحر ، بحر الملح ، ملقاة هباء)
ربَّانها المفجوع ، تبكيه نوارس راحلات
ـ عن مرفأ الاحباب ـ بالحزن المؤجج مثقلات .
من أين تعبر يا غريب ، كهولة الامواج ، أين ؟
تلقي مراسيك الحزينة . . . مرفأ الاحباب راح ،
للقاع ، ألقته رياح الملح ، غيَّبه المساء
في غابة الظلماء . . . يُهزم بالعواصف مرتين .
تذوي . . . وتنشج في البكاء هناك ، منبوذا حزين ،
في غابة الظلماء . . . تجهش بالبكاء وبالانين .

تطوان ـ المغرب — أحمد تسوكي